وغمي عليه . فاخذوهُ الى خيمتهِ فصار لهُ دور حمى صعب وفي رابع دور مات . ثم انهُ باقامة العرضي (المحاصرة) اياماً كثيرة على عكا ما ظهر ثمرة . وبعد ايام قليلة حضر امر من الدولة بعزل درويش باشا من ولاية الشام وصيدا ويتوجّه الى كوطاهيا وامر الى مصطفى باشا يقيم مكانهُ الى حضور امر ثاني . وهكذا فترت (هدأت) الامور . ثم وصل امر سلطاني بقيام الباشا المذكور ويكون وزيرًا بالشام . وعبدالله باشا جاء لهُ رضى وعفو ويبقى مكانهُ . وهذا صار من محمد علي باشا والي مصر بواسطة الامير بشير وانتهى الموكب على ولاش (ولا شيء) وما صار افادة الّا بفقد هلقدر عالم (عدد عظيم من الناس) بجرة (بسبب) هذا الشر قبل وبعد واخيرًا في موت سلمون منشئ هذه الامور . وايضاً طلعت في رأس درويش باشا

ثم ان (166) الامير من بعد مدّة قريبة حضر من مصر وطلع لعكا ثم للجبل وعزل الامير عباس وبغض الشيخ بشير للنهاية

ثم وفي مدة ولاية درويش باشا انكسرت شوكة الروم وبطركهم بسبب حادث الموره . فقدم المتغربون عرضحال لاجل حضورهم لاشغالهم مع قسوسهم . ولا بد نفد من الطايفة خدمة الوزير . فصدر لهم بيلردي بشرح مستطيل . والمضمون ان بطرك الروم ليس لهُ قارش معهم على الاطلاق ولا مع قسوسهم ولا يعترضهم اين ما ارادوا يتسموا امور ديانتهم . وتوجه لهم هذا البيلردي للجبل . فحالًا جمعوا الكهنة المرتبين بالشام وجاءوا بهم جملةً للشام باشتهار وعزازة . والروم مع بطركهم انقهروا جدًا وما استفادوا غير عمل الخطية واعطا جواب لله تعالى في ذلك الموقف العظيم . واستقام درويش باشا والي شام سنتين ومضى امرهُ وتولى الشام مصطفى باشا (لهُ بقيّة)

من بيروت الى الهند

للاب لويس شيخو اليسوعي (ذ يع)

٥ ماردين

قضينا في ماردين خمسة عشر يوماً صرفناها بين الزيارات الرسميّة للسادة الاساقفة ولوجوه الطوائف والاقارب وبين مقابلة ادباء المدينة واستعراض آثارها

ماردين مدينة قديمة ذكرها الجغرافي اليوناني بطلميوس في القرن الثاني المسيح ثمّ اميان مرقلان من مؤرخي القرن الرابع (في الكتاب الثامن عشر من تاريخه الفصل السادس . وفي الكتاب التاسع عشر من الفصل التاسع) وقد عدّها هذا الاخير من اخصّ قلاع جبل الإزْل وهو الجبل المعروف عند الرومان بماسيوس (Massius) على عطفه الغربي والبعض يلحقونها بجبل قرج داغ من جبال ديار بكر (١ على عطفه الجنوبي

وكانت ماردين في الاصل حصناً اختاره كما هو المظنون ملوك الفرس لحفظ ثغورهم ثم صار الى الرومان فجعلوه من احصن قلاعهم واحرزها فاخذ اهل تلك البلاد يشيدون لهم الدور حولها ليحتموا بجانبها من هجمات العدوّ وفيها الى اليوم عدّة آثار تدلّ على انّ المدينة كانت مأهولة منذ القرن الرابع منها نقود ونقوش وفسيفساء ومدافن . ومن اقدم ابنيتها كنيسة مار جرجس للارمن الكاثوليك وكنيسة مار هرمز للكلدان وكلتاهما من طرز كنائس القرن الخامس او السادس في بلاد الجزيرة

ولمّا دخل العرب ما بين النهرين كانت ماردين من جملة المدن التي فتحها صلحاً العياض بن غنم مع نصيبين ودارا وحصن كيفا وطور عبدين السنة ١٩ هـ (٦٤١ م)

وقد بقيت في حكم الخلفاء العبّاسيّين الى اواخر القرن الخامس للهجرة حيث استولى عليها الملوك السلجوقيون وصارت بعد قليل في عهدة احد امرائهم المعروف بايل غازي وهو رأس الدولة الارتقيّة سلاطين ماردين الذين تملكوها نيفاً وثلثمائة سنة فخلفهم عليها التركمان مدّة الى ان فتحها آخرًا السلطان الغازي سليم الاوّل سنة ١٥١٥

وقد ذكر ماردين كلّ جغرافيي العرب واطنبوا في وصف حرازتها . قال ياقوت في معجم البلدان (٤ : ٣٩٠) : « ماردين قلعة مشهورة على قُنّة جبل الجزيرة مشرفة على دُنيسر ودارا ونصيبين وذلك الفضاء الواسع وقدّامها ربض عظيم فيه اسواق كثيرة وخانات ومدارس ورُبُط وخانقاهات ودورهم فيها كالدرج كل دار فوق الاخرى وكلّ درب منها يشرف على ما تحتهُ من الدور ليس دون سطوحهم مانع » . وقال

١) هذا قولهُ الجرفي (Per Izalem montem inter castella præsidiaria duo Merida et Lorne (*Amm. Marcelin* XIX, 9)

ابن حوقل (ص ١٤٣) : « وبالقرب من نصيبين جبل ماردين ومن قرار الارض الى ذروته نحو من فرسخين وعليه قلعة تُعرف بالباز الاشهب في بلد الروم لا يُستطاع فتحها عنوةً وبجبل ماردين جوهر للزجاج جيد » . وروى القزويني لبعضهم قولهُ في وصف ماردين :

في ماردين حماها الله لي سكنٌ لولا الضرورةُ ما فارقتها نفسا
لاهلها السنٌ لانَّ الحديد لها وقلبهم جبلي قد قسا وعسا

اما اسمها فزعم كتبة العرب انهُ جمع « مارد » ثم روى صاحب معجم البلدان (٤ : ٣٩٠) انَّ مستحدث هذه المدينة بلغهُ قول الزيّاد « تمرَّد مارد وعزّ الابلق » ورأى حصانة قلعتهِ وعظمها فقال « هذه ماردين كثيرة لا مارد واحد » وانما جمعهُ جمع من يعقل

غير انَّ هذا الرأي في اشتقاق اسم ماردين ضعيف واصل تسميتها « مَرْدة » كما ورد في اقدم النصوص اليونانيَّة واللاتينيَّة والسريانيَّة وهي تُنسب الى المرد جيل من اجيال الفرس ذوي البطش كان الملوك يستدعونهم الى الدفاع عن الاماكن الحصينة لدربتهم على الحرب . ومعنى اسمهم « الرجال الاشدّاء والصناديد » . ومنهم المردة الذين سكنوا قيليقية وحصّنوا درب الدروب وعُرفوا هناك بالجراجمة وهم الذين وكل اليهم ايضاً ملوك الروم تحصين لبنان في وجوه العرب في عهد بني اميَّة (١ وقد جُمع الاسم على صورة الجمع السرياني فقيل « مَرْدين » او « ماردين »

والحقّ يقال ان ماردين كانت احسن مقام للدفاع عن ثغور بلاد الجزيرة وهي على اعطاف جبل عالٍ منقطع من ثلاث جهات فلا يُدخل اليها الّا من مضايق ومعابر يسهل تمكين استحكاماتها في وجه العدوّ . وقد زادت الصناعة في عمل الطبيعة اذ شُيدت في قنَّة الجبل تلك القلعة المنيعة التي عجز عنها كثيرون من الابطال ومن جملتهم تيمورلنك الذي حاصرها زمناً طويلاً فلم يفلح في كسر شوكتها وذلك سنة ١٣٩٦ (انظر صورة هذه القلعة في المشرق ١٢ : ٥٩٢)

---

١) راجع ما كتبهُ حضرة الاب لامنس في المردة والجراجمة (المشرق ٦ : ٤٠٢ و ٤٠٤) ومقالات سيادة المطران الجليل يوسف دريان في الامر عينهِ

ولماردين مع حسن موقعها صفات قلّما تجتمع في مدن الشرق كنقاوة جوّهـا ورطوبة هوائها واعتدال مناخها وخصب ارضها العجيب وحولهـا الحدائق الغنّاء والبساتين النزيرة الخيرات الوافرة الغـلّات مع ضروب الفواكه الكثيرة الاجناس اللذيذة الطعم وقد شبّه سيّاح الفرنج محاسنها بمدينة كريتو عاصمة جمهوريّة خطّ الاستواء في اميركا

وقد دخلت النصرانيّة مدينة ماردين في قرون النصرانيّة الاولى وعلى الاقلّ بعد تنصُّر قسطنطين الكبير اذ عمَّت النصرانيّة تلك الانحاء ولا سيما جاراتها نصيبين وآمد ودارا. ويؤيد ذلك ما وجدوهُ بقرب القلعـة من آثار الابنية القديمة المبنيّة بالحجارة البركانيّة بينها البروج المستديرة والدور المتينـة. وذكر السير أينسورث (Ainsworth) انَّ بينها المعابد الواسعة ومقبرة كثيرة الدافن تُرى عليها الصلبان ومعابدها على هندسة معابد النصارى وكل ذلك يثبت رأي مؤرخي الارمن الذين يرتأون انَّ ماردين هي مَرْدَة القديمة التي ملكها طِرْدات الثـاني المتولي على تلك الانحاء باسم الرومان في اواخر القرن الثالث وهو الذي نصَّرهُ القديس غريغوريوس المنوّر فثبتتْ الرعيّة في نصرانيّتهِ (١

ثم كثُر في جبل ماردين وملحقاتهِ عدد السيّاح والنسّاك والاديرة حتى دُعيت تلك الجهات بجبل القديسين او طور عابدين (او عبدين) وكان بعض هذه الاديرة يبلغ عدد رهبانهِ بضع مئات بل بضعة الوف كما تشهد عليـهِ الآثار التاريخيّة وقد كتب حضرة الاب اسحاق ارملة في المشرق (١١ : ٧٦٠) مقالة حسنة في اديار ماردين نُحيل القرّاء اليها

على ان معالم الدين القويم قد طُمست نوعاً في ماردين لمّا جرت تلك المنازعات الدينيّة التي اوقعت قسماً كبيراً من اهل الجزيرة والعراق في بدعتي النسطرة واليعاقبة فاصبحت ماردين احد مراسح خصومات البدعتين. وكان اليعاقبة فيها على فرعين فرعٌ ارمني كان ينتمي الى عنصر الارمن وفرع وطني سرياني. وصار لليعاقبة السبق على

١) روى تارفان المؤرخ انَّ ارشك الخامس ملك العجم كان اتخذ قبائل من المردة الى جبال الجزيرة وانَّ ماردين باسمهم دُعيت . وكان هؤلاء القوم يدينون بدين المجوسيّة ثم تنصَّروا . اطلب ايضاً (Cuinet: *Turquie d'Asie*, II, 501)

النساطرة لاسيما لما ابتنوا دير الزعفران وجعلوه مركزاً لبطاركتهم منذ القرن السابع فصارت ماردين حصن اليعقوبيّة

وفي ذلك القرن السابع دخل الدين الاسلامي في ماردين فاسلم قسم من اهلها وكان بقي فيها بقايا من المجوسيّة ومن اشياع اليزيديين عبّدة الشيطان ولم تخلُ المدينة حتى اليوم من آثار هذه الاديان. واصدق ما نعرف من احصاء اهل ماردين انّ عددهم يبلغ ٤٠,٠٠٠ النصف منهم مسلمون والباقون نصارى وليس في ماردين اثر ليهود

واغلب هؤلاء النصارى في يومنا من الكاثوليك اذ لم يبقَ في ماردين من المبتدعين سوى ١٥٠٠ من اليعاقبة. اما النساطرة فقد باد جنسهم منها. ولم تنل الكنيسة الرومانيّة بهذا الفوز الباهر الّا بعد الجهاد الطويل بعد ان كان اسم الكثلكة مجهولاً في ماردين

والفضل في هذا التغيير العظيم انّما هو عائد الى المرسلين اللاتين الذين منذ ثلاثة قرون افرغوا ما عندهم من وسائل الغيرة الرسوليّة فتصلوا عن بدعتي نسطور واوطيخا شعباً مختاراً اناروه بنور الايمان وربطوه مع مركز الوحدة بروابط شديدة جدّدت روحهُ واثمرت كما في اوائل الكنيسة ثمار الخلاص والنعمة

وكانت ماردين بعد حلب احدى المدن التي اصابت سهماً افوز من هذه النهضة الدينيّة. ولعلّ اوّل من دخلها من المرسلين الآباء اليسوعيون سنة ١٦٨٢ وهم الابوان ميشال نو (M. Nau) ورينه بيليون (René Pillon) والاخ الساعد هيلار فاستأجروا في ماردين بيتاً واخذوا يرشدون النصارى فاجتمع اليهم كثيرون طلبوا الانضمام الى الكنيسة الرومانيّة. وكان الاب نو يتعاطى الطبّ فيقصده المرضى من كل صوب. الّا انّ اليعاقبة اثاروا على المرسلين اهل نحلتهم ورشوا عمّال الدولة فألقوا المرسلين بالحبس واذاقوهم ضروب العذابات فلم ينجوا منها الّا بعد غرامة طائلة واضطروا الى ان يخرجوا من ماردين ويعودوا الى حلب

ثم قدم بعد ذلك الى ماردين الكبوشيون والكرمليون في القرن الثامن عشر وردُّوا اكثر نساطرة ماردين بمساعدة البطاركة الكلدان الكاثوليك اليوسفيين الذين في ديار بكر (١. وكذلك سعى هؤلاء المرسلون بردّ يعاقبة ماردين (٢ وارمنها

١) راجع تاريخ هؤلاء البطاركة في المشرق (٣: ٨٧٨-٨٨٢) ٢) راجع في

الغريغوريين مع بعض تلامذة مدرسة انتشار الايمان في رومية كالسيد ملكون طاز باز والسيد اندراوس اخيجان اوّل بطاركة السريان الكاثوليك (١

وبقي هؤلاء المرسلون في جهاد متواصل حتى اواخر القرن الثامن عشر ثم عادوا في القرن التاسع عشر واستأنفوا رسالتهم لكن الكرمليين انضمّوا بعد ذلك الى اخوتهم في رسالة بغداد وبقيت ماردين مركزًا للرسالة الكبوشيّة وحدها وكان يرأسها قصّاد رسوليّون من الرهبانيّة عينها اوّلهم السيد نقولا كستلس (Nic. Castells) الاسباني الذي سعى مع الاب ريون في ردّ اليعاقبة والارمن فبارك الله مساعيهُ برجوع معظم ارمن ماردين الى الكثلكة وارتداد كثير من اليعاقبة. وكانت وفاتهُ في ماردين في ٧ ايلول سنة ١٨٧٣. وفي السنة ذاتها في ٤ تشرين الثاني توفي خلفهُ في القصادة الرسوليّة السيد زكريّا فانشيولي (Zach. Fanciulli)

واتفقت هذه الحركة مع اهتداء ذاك البطل المقدام السيد انطون سحيري الشهير الذي نبذ الشيعة اليعقوبيّة وتكثلك وتمين بطريركاً على الطائفة السريانيّة واجتذب عدداً عديداً من مشايعيهِ الى الاحتذاء بمثلهِ. وكانت وفاتهُ برائحة القداسة سنة ١٨٦٤

فكانت نتيجة غيرة كل هؤلاء ان ماردين لم يبق فيها في عهدنا لا نسطوري ولا ارمني غريغوري الّا ١٥٠٠ يعقوبي كما مرّ. وفي المدينة ثلاثة روسا. اساقفة ارمني وسرياني وكلداني وهناك كرسي بطاركة السريان كما قرّرهُ المجمع المقدّس واثبتهُ مجمع الشرفة

امّا الكبوشيون فلا يزالون مع قلّتهم يجدّون في خدمة نصارى ماردين وتهذيب احداثها ومعالجة مرضاها مع روسا. الطوائف الكاثوليكيّة. وبهمتهم قدمت راهبات فرنسويات منتسبات الى رهبانيّة مار فرنسيس السنة ١٨٨٢ ففتحن المدارس للاناث وازدحمت عندهن الفتيات على اختلاف مللهنّ

المشرق قصّة اهتداء اهل ماردين اليعاقبة التي رواها الشمّاس ايليّا بن الكزبر (في المشرق السنة ١٩٠٩ ص ٥٨٩ الخ)

١) راجع تاريخي الكنيسة السريانية لسادة رئيس اساقفة حلب على السريان السيد ديونوسيوس افرام نقّاش وللفيكنت فيليب طرّازي

وكان يدبّر الرسالة الكبوشيّة يوم مرورنا في ماردين حضرة الاب دانيال دي مُنوپُلو (Daniel de Menopolo) وهو لا يزال في تدبيرها حتى الآن . ومن فضله على نصارى ماردين انّهُ بعد خروجنا منها بأيّام اذ تهدّدتهم قبائل الاكراد بالنهب والقتل كما جرى في ديار بكر التجأ الى ابراهيم باشا ودعاه الى الدفاع عن المظلومين ففعل وردّ الاكراد عن ماردين . وفتح الاب دانيال ديرهُ للهاربين من تل ارمن والضياع المجاورة وآوى منهم ألفين بنيّف . فشكرت فرنسة للمرسل همّتهُ ومنحت على يده نوطاً ذهبيًّا لابراهيم باشا

رأيت في وصف الكتبة لماردين انهم يذكرون مدارسها . وما لا يُنكر انّ تلك المدينة في عهد الدولة الارتقيّة بلغت بعض الشهرة بآدابها ومعارفها . وقد اشتهر فيها علماء كالسبط الماردينيّ الواسع التآليف في علوم الهيئة والهندسة والفرائض توفي سنة ٩٣٤ هـ (١٥٢٧ م) . واشتهر الشاعر ابن مشرف الماردينيّ وفي مكتبتنا الشرقيّة نسخة فريدة من ديوانهِ . توفي في اواسط القرن التاسع للهجرة . وفي ماردين اشتهر صفي الدين الحلي في اواخر القرن السابع واوائل الثامن فمدح سلاطين ماردين وافاض في وصف محاسن حاضرتهم فمّا قال :

حبّذا ارضُ ماردين وبَرْ م ـ الظلّ فيها وماؤها وهواها
بلدةٌ تنبتُ الكرام فلا م ذُقتُ فيها ولا عدمتُ فناها
فهي ارضٌ ان لم تكن هي ذاتُ م النفس مني فانّها مشتهاها
جمعتْ سائر المُنى فلهذا م ما اتاها ذو الحلم الّا وتاها
كم رأينا لها وفيها ومنها م صورًا تُسفك الدماء دُماها
لو تمكّنتُ ان اقضّي بها م العمر جيمًا لما سكنتُ سواها

وهو القائل : لئن وهي يغدُ السحاب الشين فلا عدا رَبْعَك يا ماردينْ
مدينةٌ لم ترَ في جوّها جَورًا ولا في اهلها ماردينْ
كم شاهدت عيناي من اهلها اظهار معروف واضمارَ دينْ
افاضلٌ في غيهم ما رَدَوْا ونسوةٌ في مثلهِ ما رَدِينْ

وكان سبق الاخطل (ص ٢٠٩) فوصف ماردين بشعرهِ الجميل :

رأوا ثغرًا تُحيط بهِ المنايا وأكبدَ ما يثيرهُ النيارُ
فسامي ماردونَ بهِ الثريّا وأيدي الناس دونهُ قصارُ

ومع ما حلّ بماردين من خمول المعارف لا يزال بين اهلها شي من مسحة الآداب فاجتمعنا بمن اشاروا الينا بتقدُّمهم في الدروس فلقينا عندهم من اللطف والمجاملة ما زادنا لاشخاصهم اعتبارًا. على انَّ المسلمين في الغالب لم يحرزوا من العلوم الّا قليلًا من الصرف والنحو وبعض العلوم الدينيَّة لاسيما الفقه وكذلك النصارى لم يزيدوا شيئاً على مبادئ العلوم لخلو ماردين من المدارس العصريَّة المحكمة. لكنَّ بعض ارباب الاكليروس الماروني الذين تخرَّجوا في مدارس بيروت وغزير والشرفة ناشرون في وطنهم معالم الآداب جامعون بين الفضائل الكهنوتيَّة والمعارف البشريَّة. وقد فتح المرسلون الاميركيون مدارس في ماردين يبثون فيها مذهبهم البروتستاني اكثر منهم للعلوم ولذلك يأخذ الاهلون حذرهم منهم. ومعظم طلبتهم من اليعاقبة

وقد اطّلعنا في ماردين على ما تحوزهُ بعض المكاتب من المآثر الادبيَّة ففي كنيسة الكلدان مكتبة قديمة تحتوي بضع مئات من الكتب الكلدانيَّة والعربيَّة منها بعض الاناجيل راقية الى ما وراء القرن العاشر وكتب طقسيَّة فيها النقوش البديعة والتصاوير ومنها تآليف لمشاهير كتبة السريان كالقديس افرام ومار يعقوب وغريغوريوس بن العبري ومنقولات عن الآباء اليونان. ووجدنا السيد ايليا ميلوس وهو اذ ذاك رئيس اساقفة ماردين على الكلدان مغرماً بهذه التآليف القديمة وقد نشر شيئاً منها بالطبع

وفي هذه المكتبة وُجدت الترجمة الكلدانية لكتاب كليلة ودمنة السابقة لتعريب ابن المقفع بنحو ثلاثمائة سنة فنشرها في المانية العلاَّمة بيكل (Bickell)

وكذلك عند السريان الكاثوليك والارمن بعض المخطوطات السريانيَّة والعربيَّة التي تستحقّ الذكر واكثرها لكتبة نصارى من مرسلين اوربيين ورهبان وطنيين ولم يخب رجاؤنا تمَّا كنَّا نؤمله من اقتناء بعض تلك الآثار

واذ كان بلغنا سابقاً انَّ في دير الزعفران مكتبة مهمَّة عوَّلنا على زيارتها بصحبة حضرة الخوري هرمز نورسو الكلداني واحد تلامذة كليَّتنا في بيروت الذي قام بخدمتنا ما امكنهُ مدَّة اقامتنا في ماردين. فركبنا الجياد في ١٢ من شهر تشرين الاوَّل وسرنا الى ذلك الدير الشهير فقطعنا بعض بساتين ماردين فبلغنا قرية « قلعة مرا » التي يعتبرها اليعاقبة كاحدى امّهات شيعتهم ولم نلبث حتى وصلنا بعد ساعة الى دير

الزعفران وهو لا يبعد عن ماردين اكثر من ثمانية كيلومترات . وهذا الدير عبارة عن ابنية ضخمة متراكمة يحدق به سور كحصن . ووراء السور دهاليز معقودة يُدخل منها الى الدير . واقدم ما فيه كنيستهُ البنيَّة على طرز كنائس القرون الوسطى بهندسة بسيطة الَّا انها موافقة لعبادة الرهبان وفرائضهم . وقد روى ابن العبري في تاريخه الكنسي طبعة لامي (Greg. Barhebræi Chronic. Eccles L. 338) انَّهُ كان قرب ماردين حصن مبني بالحجارة المنحوتة منذ عهد الرومانيين فاشتراه حنانيا مطران اليعاقبة وجعلهُ ديراً وغرس فيهِ كرماً وزيتوناً وشيَّد فيهِ كنيسة ومذبحاً واجتمع اليهِ رهبان كثيرون فعُرف هذا الدير بدير حنانيا وهو دير الزعفران

وهذا الدير في أيامنا يسكنهُ نحو عشرة رهبان وفيهِ منذ عدَّة قرون مقام بطاركة اليعاقبة . وكان البطريرك لمَّا زرناه هو المسمَّى عبد المسيح . فطلبنا مواجهتهُ واستقبلنا في قاعة كبيرة هي الديوان فبعد ان دار الحديث بيننا قليلاً طلبنا اليهِ ان يرخص لنا بزيارة المكتبة فكان جوابهُ انَّ المكتبة ليست منظمة وليس فيها شيء يستحق الذكر فاردفنا بأنَّا لا نريد الَّا الاطلاع على مضامينها مهما كانت والححنا عليهِ بالطلب فلم يمكنَّا اقناعهُ . ومثَّا اخبر الرحَّالة ساخو (D^r Ed. Sachau) انَّهُ في سنة ١٨٧٩ زار دير الزعفران في أيام البطريرك بطرس وانَّهُ وجد في مكتبتهِ نحو عشرين كتاباً النصف منها مكتوب على الرق وبعضها يرتقي الى القرن العاشر او التاسع . ثمَّ قال « باطني ان مكتبة الدير نُقلت الى ديار بكر والله اعلم » . فودعنا البطريرك غير مثنين على كرمهِ بل صرَّحنا لهُ بأنَّنا اذا كتبنا يوماً تاريخ رحلتنا سوف نذكر ردَّهُ ملتمسنا

ومن غريب ما جرى للبطريرك المذكور انهُ سافر بعد ذلك الى الاستانة نحو السنة ١٩٠٥ فمرَّ في بيروت واتى الى كليَّتنا ليزورها فرُحِّبَ بهِ ورافقتهُ في زيارة معاهد مدرستنا وادخلتهُ في مكتبتنا الشرقيَّة ثم ذكَّرتهُ كيف اقفل دوننا مكتبة دير الزعفران فاعتذر الينا ووعدنا انهُ لا يبخل علينا مرَّة اخرى بمطالعتها . لكنهُ لم يعِشْ عليهِ بضعة اشهر حتى عُزل عن البطريركيَّة بامر السلطان عبد الحميد (لهُ تابع)